

## حامل الصليب ومتحمل الآلام

### الوزير/ اللواء عصام أبو حمرة

بعد ما سقطت البصرة وتبعثها بغداد والموصل، وكما فاجأتنا قيادة العراق بوقف القتال، كذلك بعدما صدر عن الرئيس الأميركي ووزير الدفاع ووزير الخارجية التحذير الأول لسوريا على مواقفها الراضية وتصرفاتها المخالفة، فاجأتنا القيادة السورية بما ظهر عنها من ليونة وانصياع، وأذهلنا ما قامت به من تراجع عما أظهرته من عراضات وشراسة في قوميتها العربية وما بان فيها من مظاهر ثورية قبل الهجوم على العراق وخلالها، تصرفات أخافت الكثيرين في العالم الغربي، ودفعت الكثيرين في العالم العربي وخاصة في لبنان إلى اتخاذ مواقف متطرفة تجاه أميركا وسياستها الهجومية على العراق.

فأين أصبح الرفض السوري بعد سقوط العراق، أين الصمود والتصدي، أين الروح والدم، أين الفداء والشهادة أين الملايين التي مخرت وزمجت في أبو رمانة، أين أصبح البشر الهائج الملتج بالملايين في شوارع دمشق؟

لقد جاء الجواب المطياع فجأة وبسرعة كسقوط العراق، وبكل بساطة: "ولو نحن شو عملنا، نحن بأمركم، نسلمكم العراقيين والفلسطينيين والانتحاريين. انتم اطلبوا ونحن ننفذ. نعم ننفذ ما تريدون في سوريا ولبنان، لكن ابعدوا عنا كاس الحرب".

ابتدأ تنفيذ الأوامر بتسليم من لجا من القادة العراقيين إلى سوريا وتسكير الحدود بوجه النازحين من العراق إليها.

دون أن نسمع عربيا يقول كلمة منددا بهذا التسليم واصفا إياه بالخيانة العربية. ودون أن نسمع عربيا واحدا بصورة عامة ولبنانيا واحدا من الأحزاب التي تسمي نفسها وطنية بصورة خاصة يندد بقبول سوريا تنفيذ مطالب أميركا والتعامل معها بهذه الطوعية. ولم يقم أي زعيم من الذين يسمون أنفسهم "وطنيين" باتهام سوريا بالخيانة أو العمالة أو التصهين كما فعلوا منذ مدة بحق من طلبوا من أميركا المساعدة في تنفيذ القرار ٥٢٠ الصادر عن الأمم المتحدة. بل ركضوا مع القيادة السورية، للمحافظة على تراث سوريا المجيد في لبنان. فألفوا حكومة جديدة بلمحة بصر ممن تريد سوريا، حكومة من أبطال سوريا في لبنان لتحفظ وتحافظ على تراث سوريا في لبنان، ولعلها تنجح بإبقائها. وابتدأت الأبواق الناطقة بالإعلان أن لبنان ما زال بحاجة للجيش السوري لحفظ أمنه. وابتدأ حزب يتوعد، وحزب يتهدد، وفدائيون جاهزون للشهادة في لبنان ساحة المعركة المعهودة، فهو مجرب وبيتحمل. الجيش السوري في لبنان حاجة وطنية وجيش أميركا في العراق

خيانة عربية. في لبنان الحريري وعصام فارس بيدفعوا ولهم في فرنسا وأميركا أصدقاء بيتوسطوا والشعب اللبناني تعود على حمل الصليب وتحمل الآلام وهكذا بيمشي الحال. أن تدبير سوريا الوقائي هذا دون فائدة فهو كتدبير القيادة العراقية بتقسيم العراق وتوزيعه على القيادات للتصرف بحرية في مواجهة الهجوم الأميركي وكان دون جدوى. وهكذا ستكون حكومة المجابهة السورية في لبنان دون جدوى لأنه عندما سيتوجه العسكر السوري باتجاه بلاده سينتفي أثره في لبنان مع حكومة المواجهة هذه التي أُلْفها قبل المغادرة. وترداد الأبواق الناطقة أن من مشى مع أميركا بالأمس خائن، أصبح أمام من يركع أمامها اليوم وغدا فضيحة كبرى. واعتبارهم الأمير كان فور دخولهم العراق محتلين، وان للشعب العراقي وحده حق تقرير المصير مع اعتبارهم بذات الوقت الجيش السوري في لبنان طيلة ربع قرن حاجة وطنية، وبقاء الشعب اللبناني تحت السيطرة السورية والاحتلال أو الوصاية أو شو ما كان قانوني وشرعي لتثبيتهم على الكراسي فضيحة اكبر. وكما هم تعلموا من طريقة إفشال اتفاق ١٧ أيار ومن تحويل انسحاب إسرائيل من لبنان تحت ضغط بعض الانتحاريين هزيمة، كثيرون غيرهم تعلموا واخذوا العبرة في التصرف مع الشعوب الأخرى منعا للوقوع في مطبات مماثلة. واستغناء الآخر خطأ غالبا ما أدى ويؤدي إلى الفشل والهزيمة.

في ٢٤/٠٤/٢٠٠٣